مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

أثرُ القرينة في تناوب الصّيغ الفعليّة وتحديد الزّمن النّحويّ

معاذ محمّد[1]

(تاريخ الإيداع 20 / 7 / 2017. قبل للنشر في 17 / 8 / 2017)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث دور القرائن في التناوب بين الصيغ الفعلية من ماضٍ و حاضر ومستقبل، فالغالب أنّ الزمن مقسّم إلى صيغ معينة: (فعل) للماضي، (يفعل) للحاضر، (افعل) للمستقبل، فيدرس هذا البحث القرائن التي تؤدي إلى خروج الصيغة عن الزمن الأصلي إلى زمن آخر لا يدلّ عليه بوضعه الأصلي، وهذا يبين أنّ هناك فرقاً بين الزمنين النّحوي والصرفيّ؛ فيبين البحث أنّ صيغة المضارع تنوب عن صيغة الماضي عند وجود قرائن معينة؛ أي تدلّ صيغة(يفعل) على الماضي لوجود قرينة دالّة، وكذلك من باب تناوب الصيغ فالعكس أيضاً، إذ تنوب صيغة الماضي (فعل) عن الحاضر والاستقبال؛ أي لا تدلّ حسب أصلها على الماضي بل على زمن الحاضر أو الاستقبال، فالقرينة هي التي تحدد الزمن النحوي.

الكلمات المفتاحية: الزمن، القرينة، الصيغة، التناوب، الفعل.

[1] ماجستير_ قسم اللغة العربية_ كلية الآداب والعلوم الإنسانية_ جامعة تشرين_ اللاذقية_ سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

The effect of the context in the rotation of the actual formulas and the determination of the grammatical time.

Maaz Mohammad[1]

(Received 20 / 7 / 2017. Accepted 17 / 8 / 2017)

□ ABSTRACT □

This research deals with the role of the context in the rotation between the actual forms of past, present and future, time is often divided into past, present and future formulas, the research examines the contexts that leads the original time from its position to another time that does not indicate it in the first place that shows that there is a difference between the temporal time and the grammatical, the research shows that the formula of the present verb is different from that of the past because of the existence of a presumption function and repent formula of the past about the present and future, which does not indicate by the origin of the past but the present time and future, so the context determines the grammar time.

Key words :Time, context, formula, rotation, verb.

[1] **Postgraduate, department of Arabic, faculty of arts and humanities, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

إنّ موضوع الزمن في النحو العربي هو أمر إشكالي من حيث الأسس التي اعتمد عليها؛ فالنّحاة القدماء قد خصصوا الزمن النحوي من الصيغة الصرفية وحصروا صيغة (فعل) بالماضي و (يفعل) بالحاضر، و(افعل) بالمستقبل، لكن هذا لا يناسب الاستخدام النّحوي؛ فالزمن غير مقتصر على الصيغة الصرفية، بل إنّ السياق والقرينة هما اللذان يحددان الزمن النحوي، فالصيغة تدل على الزمن الذي وضعت له في الأصل عند عدم وجود قرينة مانعة، ولا يحصل ذلك عند وجود القرينة؛ فالسياق يجرد الصيغة من زمنها الصرفيّ الأصليّ، ومن ذلك نجد ما يعرف بالتناوب بين الصيغ الفعلية؛ فتدلّ كلّ واحدة منها على الأخرى بقرينة.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى تبيان مدى قدرة الصيغ الفعلية في التناوب بين ماضٍ و حاضرٍ ومستقبل، كما يوضّح البحث التزام النّحاة القدماء فكرة الزمن بجانب واحد هو زمن الصّيغة؛ أي الزّمن الصّرفيّ، كما يبيّن البحث أهميّة المعنى في فهم التراكيب النحويّة وعدم الالتزام بالمبنى فقط، ويبيّن البحث أنّ الأدوات النحويّة أغلبها لا تملك دوراً إعرابياً بحتاً فقط، بل لها دور معنويّ في السياق.

منهجيّة البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفيّ في رصد المادّة وتحليلها ودراستها اعتماداً على ما جاء به النّحاة والعلماء من آراء في هذا المجال.

أوّلاً: الزمن الصرفيّ و الزّمن النّحويّ:

قسّم النّحاة الزّمن إلى ماضٍ ومضارع وأمر؛ أي مستقبل، فعندهم أنّ صيغة (فعل) تدلّ على الماضي، وصيغة (يفعل) تدلّ على الحال والاستقبال، وصيغة (افعل) تدلّ على المستقبل، جاء في الكتاب:" أمّا الفعل فأمثلته أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لِما مضى ولِما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأمّا بناء ما مضى فذهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ ، وأمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمراً: اذهبْ واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً: يقتُل ويذهَب ويَضرِب ويُقتَل و يُضرَب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت" [1]، لكن عند ورود هذه الصيغ في التركيب يمكن أنْ تدلّ على غير ما وضعوه لها ، وذلك لوجود قرائن في السّياق تحوّل دلالة الصّيغة إلى زمن غير الذي وضعوها لها، فهذه الصيغ هي في الزمن الصرفي، أمّا الزّمن النّحويّ فيدرك من السّياق والقرائن، فالسّياق يُخرج الصيغة من دلالتها الأصليّة إلى أخرى؛ قال أبو البقاء الكفوي:" كلّ لفظ متعيّن للدلالة بنفسه على معنى فهو عند القرينة المانعة عن إرادة ذلك المعنى متعيّن لما يتعلّق بذلك المعنى تعلّقاً مخصوصاً، ودالّ عليه بمعنى أنّه يفهم منه بواسطة القرينة لا بواسطة هذا التعيين حتى لو لم يسمع من الواضع جواز استعمال اللفظ في المعنى المجازي لكانت دلالته عليه وفهمه منه عند عدم قيام القرينة محالاً"[2].

---

[1] – سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ص12.

[2] – الكفوي، أبو البقاء. الكليات، تحقيق: د. عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993، ص 994.

وفرّق الدكتور تمّام حسّان بين الزمن النحوي والزمن الصرفي؛ فعنده أنّ" الزمن النحوي وظيفة في السّياق يؤدّيها الفعل أو الصّفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف" [1]، أمّا الزّمن الصّرفي فهو" وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق... ويكون الزّمن الصّرفي قاصراً على معنى الصّيغة يبدأ بها وينتهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السّياق... فلا مفرّ إذاً من النّظر إلى الزّمن في السّياق نظرة تختلف عمّا يكون للزّمن في الصّيغة لأنّ معنى الزّمن النّحوي يختلف عن معنى الزّمن الصّرفيّ من حيث إنّ الزّمن الصّرفيّ وظيفة الصّيغة وإنّ الزّمن النّحويّ وظيفة السّياق تحدّدها الضّمائم والقرائن"[2].

كما اعترض الدكتور مهدي المخزومي على تقسيم النّحاة بقوله:" الفعل الماضي كما تدلّ عليه التّسمية ينبغي ألّا يستعمل إلّا في الماضي، ولكن واقعه في الاستعمال يخالف ذلك؛ فقد دلّ في بعض استعمالاته على وقوع الحدث حال زمان المتكلّم، كما في قول البائع بعتك، والمشتري: قبلتُ، مع أنّ الفعل في إعرابه فعل ماضٍ، وهم يعرّفون الماضي بأنّه ما دلّ على حدث مضى قبل زمن المتكلّم، والفعل المضارع يعبّر عن وقوع الحدث في الماضي إذا اقترن بـ (لم).... فالنّحاة... بنوا تقسيمهم الفعل، واختلاف صيغه على أقسام الزمان، وخصّوا كلّ صيغة بزمان معيّن فإذا حاولوا تطبيق صيغ الفعل على أقسام الزمان واجهتهم أمثلة ... تستعصي على التّطبيق، فاضطروا إلى التّأويل والاعتذار عن هذا الاستعمال أو ذاك بإجابات تنطوي على كثير من التمحّل والتكلّف والتوجيه البعيد عن طبيعة اللغة"[3].

وأشار الدكتور إبراهيم السّامرائي إلى" اختلاف الزمان باختلاف التّراكيب التي جرت في العربيّة... وبناء(فعل)، وبناء (يفعل) لا يمكن أن يدلّا على الزمان بأقسامه وحدوده ودقائقه؛ ومن هنا فإنّ الفعل العربيّ لا يفصح عن الزمان بصيغته، وإنّما يتحصّل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل عل زيادات تعين الفعل على تقرير الزّمان في حدود واضحة"[4].

من هنا أرى السّياق هو الذي يحدد الزّمن، والنّحاة قد خصصوا صيغاً في الأصل لكل زمن، لكن هذه الصّيغ تتناوب فيما بينها لتدلّ على معنى غير أصليّ فيها وذلك اعتماداً على السّياق والقرائن.

ثانياً: نيابة المضارع عن الماضي: والمقصود نيابة صيغة (يفعل) عن (فعل)؛ فتدل صيغة المضارع (يفعل) على ما تدل صيغة (فعل) عند وجود قرينة في السياق، وذلك في كثير من الحالات منها:

أ- **ينصرف معنى المضارع إلى المضي، وذلك إذا اقترن بـ(لم) أو (لمّا)** [5]، فكلّ من (لم ولمّا)" حرف نفي مختص بجزم مضارع واحد، وبقلب زمنه من الحال والاستقبال إلى الزمن الماضي...فيكون الفعل مضارعاً في صورته وفي إعرابه، ولكن زمنه ماضٍ" [6]، قال تعالى:" ألم يجدك يتيماً فآوى" [7]، وجاء عند سيبويه:" (لم أضرب) نفيٌ لـ (ضربت)...وإذا قال: (فعل) فإنّ نفيه (لم يفعل)، وإذا قال : (قد فعل) فإنّ نفيه (لمّا يفعل)" [8]، وقال أبو البقاء الكفوي:"

---

[1]- **حسان، د.تمّام. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1994، ص 240.**

[2]- **المرجع نفسه، ص 240، 242.**

[3]- **المخزومي، د. مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، ص 144.**

[4]- **السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1983، ص24.**

[5]- **السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع، ج 1، تحقيق: عبد العالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992. ص 22.**

[6]- **حسن، عبّاس. النحو الوافي، ج4، دار المعارف، مصر، ط3، 1974، ص 413.**

[7]- **الضحى 6.**

[8]- **سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، ج1، ص 136 ، ج3 ص 117.**

الكفوي:" كلمة (لم) أظهرُ في معنى النفي من (ما) لعدم الاشتراك فيهما؛ إذ هي لنفي الماضي خاصّةً، و (ما) مشترك لنفي الحال والاستقبال"[1].

ب- **مع (إذ):** " تلزم (إذ) الإضافة إلى جملة إمّا اسميّة... أو فعليّة فعلها ماض لفظاً ومعنى... أو فعليّة فعلها ماض معنىً لا لفظاً، نحو: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد)" [2]، (إذ) هي ظرف لما مضى من الزمن، والفعل الذي جاء بعدها جاء بصيغة المضارع (يفعل) لكن لوجود القرينة الدالة على الماضي تجرد عن ذاته المضارعية إلى ذاته الجديدة المضي، فنابت صيغة(يفعل) عن (فعل) هنا.

جـ- مع (ربّما): كقوله تعالى:" ربّما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" [3]، وقيل:" هو مؤوّل بالماضي على حد قوله(ونفخ في الصور)، وفيه تكلّف لاقتضائه أنّ الفعل المستقبل عُبّر به عن ماضٍ متجوز به عن المستقبل"[4].

د- مع (لو): (لو) الشرطية" إن جاء بعدها مضارع لفظاً ومعنىً قلبت زمنه للمضي مع بقاء لفظه على حاله، ومن الأمثلة : لو يجيء الضيف أمس لأكرمته... والمراد: لو جاء الضيف"[5]، وجاء عند ابن هشام أنّ (لو) تفيد " تقييد تقييد الشرطية بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يُذكر بعده فارقت (إن)، فإنّ تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل، ولهذا قالوا: الشرط بإن سابق على الشرط ب(لو)، وذلك لأنّ المستقبل سابق على الزمن الماضي" [6]، فالمضارع الواقع بعد (لو) "يراد به المضي، ومن ذلك قوله تعالى: ولو ترى إذ وقفوا على النّار، وقوله تعالى: أن لو نشاء لأصبناهم"[7].

هـ- مع قرينة دالة على الماضي: فبناء (يفعل) " يأتي وهو دال على المضي، وذلك لقرينة ترشحه إلى الزمان الماضي، نحو قوله تعالى: (لمَ تقتلون أنبياء الله **من قبلُ**)... ويأتي للإعراب عن حدث مستقبل بالنسبة لآخر تم قبله في زمن ماضٍ، نحو قوله تعالى(والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون)" [8]، وبيّن الدكتور تمّام حسان أهمية الظروف في القرينة مع صيغة ليست للأصل؛ فوجد أنّ الظروف تبلغ" غاية أهميتُها في تخصيص الأزمنة... حيث يستعمل المضارع للدلالة على الماضي بواسطة قرينة... مثلاً... طائراتنا تقصف مواقع العدوّ أمسِ" [9]، فالفعل (تقصف) مضارع للحال أو الاستقبال لكنّ قرينة المضي (أمس) جردته من الدلالة على ذلك إلى الدلالة على الماضي.

و- بعد(كان) وأخواتها : يكون (يفعل) دالّاً على الماضي" إذا كان خبراً لباب (كان)، نحو كان زيدٌ يقوم"، ونحو قوله تعالى" إنّما تجزون ما كنتم تعملون"[10]، و قال الدكتور إبراهيم السامرائي:" يأتي بناء (يفعل)، ونحوه مسبوقاً بـ(كان) للدلالة على أنّ الحدث كان مستمرّاً في زمان ماض، ومجيء كان إلى جوار الفعل يؤلف مركباً يؤدي هذه الفائدة، وذلك نحو قولنا: كان النبي يوصي بمعاملة الجار الحسنى... ومثل (كان) سائر الأفعال التي تتصل بزمان

---

[1]- الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص 1028.

[2]-الأنصاري، جمال الدين بن هشام. مغني اللبيب، تحقيق: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979، ص116.

[3]-الحجر 2.

[4]- نور الدين، د. عصام. الفعل والزمن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1984، ص 87.

[5]- حسن، عباس. النحو الوافي، ج4، ص 494.

[6]-الأنصاري، جمال الدين بن هشام. مغني اللبيب، ص 337.

[7]- السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع، ج 1، ص22.

[8]-السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 32.

[9]- حسان، د. تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 258.

[10]- الطور 16.

معيّن، نحو ظل وأصبح وأمسى وبات، نحو: أمسى البرق يلمع في السماء، وأصبح المطر يهطل مدراراً... ومثل هذا أيضاً ما أسموه بأفعال الشروع: نحو طفق المطر ينزل، وأخذ الولد يبكي"[1].

جاء عند الدكتور عصام نور الدين أنّ"(أمسى و أصبح وأضحى وبات) يدلّ المضارع المقترن بها على حال ماضية غير مستمرّة، بل معيّنة بالزمن الذي تدل عليه كل واحدة منها؛ ففي مثل قوله تعالى : فأصبح يقلّب كفّيه... يدلّ (تقلّب) على حال ماضية مرتبطة بزمن ماض هو الإصباح"[2].

ز- **مع العطف:** ينصرف معنى (يفعل) إلى المضي إذا عُطف على ماض أو عُطف عليه لاشتراط اتحاد الزمن في الفعلين المتعاطفين، نحو قوله تعالى" ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرّة" [3]؛ أي فأصبحت الأرض[4].

من ذلك كلّه أرى أنّ صيغة (يفعل) المضارع قد نابت عن صيغة (فعل) في الدلالة على الماضي، والمقصود التناوب بين الصيغ الموضوعة لأصل ما، فهنا صيغة (يفعل) أصلها عند النحاة للحال أو الاستقبال لكنها عند وجود قرينة في السياق نابت عن (فعل) ودلّت مع القرينة عمّا تدل عليه صيغة (فعل) في الأساس، فالنيابة هنا هي نيابة صيغة غير أصليّة لمعنى مع قرينة عن صيغة أصليّة لذلك المعنى.

ثالثاً: نيابة الماضي عن الحال أو الاستقبال: قرر النحاة أنّ صيغة (فعل) هي للدلالة على المضي؛ أي على شيء قد تمّ وانتهى، لكننا نجد أنّ هذه الصيغة في كثير من الحالات لا تعبر عمّا وضعوه لها، بل تكون للاستقبال أو الحال من خلال قرائن معيّنة للسياق، فتنوب (فعل) عما ليست أصلاً له؛ أي عن الاستقبال والحال، و" التعبير بالماضي عن المستقبل يعد من باب الاستعارة"[5].

والمواضع التي ينصرف بها الماضي إلى الاستقبال أو الحال كثيرة جداً منها وقد يكون من الصعب جمعها كلها هنا لكثرة القرائن الدالة ولكن سأذكر منها ما أمكن:

أ- **مع الشرط:** " الماضي في سياق الشرط مستقبل المعنى"[6]، و" ومهما كانت صيغة فعل الشرط أو جوابه فإنّ زمنهما لا بدّ أن يتخلّص للمستقبل المحض بسبب وجود أداة الشرط بالرغم من أن صورتهما أو صورة أحدهما قد تكون أحياناً غير فعل مضارع... فتخلص زمنه للمستقبل سواء أكان الفعل ماضياً أم مضارعاً... ومن أمثلة الماضي: من نمّ لك نمّ عليك؛ إذ المراد من ينم لك ينمّ عليك" [7]، ويلحق بذلك الظروف التي تكون لما يستقبل من الزمان مثل (إذا)، " فيستعمَل للإعراب عن الزمان المستقبل، وذلك في الظرف الشرطي، نحو : إذا جئتني أكرمتك"[8]، قال تعالى:" والنجم إذا إذا هوى"[9]،" فالماضي بعدها في معنى المستقبل"[1].

---

[1]- السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 33، 34.

[2]- نور الدين، د. عصام. الفعل والزمن، ص 89.

[3]-الحج 63.

[4]- انظر: السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع، ج 1، ص23.

[5]- الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص 1062.

[6]- المصدر نفسه، ص 1060.

[7]- حسن، عباس. النحو الوافي، ج4، ص 422، 423.

[8]- السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 29.

[9]-النجم 1.

ويلحق بذلك أيضاً (ما) النائبة عن الظرف المضاف نحو: مادامت السموات، لتضمنها معنى (إنْ)[2].

ب- بعض مواضع الأسلوب الإنشائي: وذلك بحسب القرينة، ومن ذلك أنْ" يأتي بناء (فعل) في أسلوب الدعاء بالخير، وهو من غير شك يشير إلى المستقبل، نحو: رضي الله عنه، و رحمه الله، كما يأتي في الدعاء بالشر منفيّاً بـ (لا) ، نحو: لا رحمه الله ولا رضي عنه"[3]، فالزمن لا يُعرف من الصيغة وحدها هنا " فإذا دخلت (لا) على (فعل) لم تكن للنفي، وإنما تكون للدعاء... ويمكن أن يُرى الفرق في المعنى بين :(فلا نامت أعين الجبناء) و (فما نامت أعين الجبناء)"[4]، فرغم اتحاد الصيغتين على (فعل) لكن سياق أسلوب الإنشاء فرّق بين المعنيين ففي الأولى لا تدل على الماضي، بل على المستقبل، أمّا في الثانية فقد دلّت على الماضي.

قال الدكتور تمّام حسّان:" جمل الإنشاء عدا الاستفهام قاصرة على إفادة الحال أو الاستقبال بحسب القرائن ولا دلالة فيها على المضي... ومع أنّ المضي لا يخطر في معنى هذه الجمل نجد صيغة (فعل) تستعمل باطراد لتدل على الحال أو الاستقبال في التحضيض، نحو هلا فعلت، ولولا فعلت، ولوما فعلت، وألا فعلت، وفي التمني نحو : تمنيت أنْ لو قد حدث كذا... وكذلك يدل (عسى) في الترجي على الحال أو الاستقبال"[5]، قال تعالى:" عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم"[6]، فالفعل عسى صيغته (فعل) لكن يدل على الاستقبال، جاء في شرح المفصل " (عسى)... كان لفظها لفظ الماضي، ومعناها المستقبل لأن الراجي إنّما يرجو في المستقبل لا في الماضي... وكانت (عسى) طمعاً، وذلك لا يكون إلّا فيما يستقبل من الزمان"[7].

قال تعالى:" ربّ لولا أخرتني إلى أجلٍ قريب" [8]، فالمعنى لولا تؤخرني؛ ونلاحظ أنّ حرف التحضيض " قد وليه الماضي إلّا أنّ الماضي هنا في تأويل المستقبل كما يكون بعد حرف الشرط" [9] و لأنّ" أدوات التحضيض لا يليها إلّا المضارع ظاهراً أو مقدّراً فإن دخلت على ماض خلصت زمنه للمستقبل"[10].

ومن ذلك المدح والذم في مثل (نعم و بئس) وما شابههما، قال تعالى" نعم أجرُ العاملين" [11] فهذه الأفعال من صيغة (فعل) التي توضع في الأصل للماضي، لكنهما لا يلزمان زمن الماضي فقط، بل يعبر بهما عن كل الأحوال من حال واستقبال، وذلك" أنّهما نقلا من الخبر إلى نفس المدح والذم، والأصل في إفادة المعاني إنّما هي للحروف فلمّا أفادت فائدة الحروف خرجت عن بابها" [12] ؛ والمقصود أن هذه الأفعال دلت على ما هي له في كل

---

[1]- المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992. ص 370.

[2]- انظر: نور الدين، د. عصام. الفعل والزمن، ص 58.

[3]- السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 28.

[4]- حسان، د. تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 247.

[5]-حسان، د. تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 250، 251.

[6]-البقرة 216.

[7]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصّل،ج7، إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، د.ت ، ص 116، 118.

[8]-المنافقون 10.

[9]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل، ج8، ص 144.

[10]- حسن، عباس. النحو الوافي، ج4، ص 514.

[11]-آل عمران 136.

[12]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل، ج7، ص 127.

الأزمنة فدلت في أصلها على الماضي، وفي نيابة صيغتها عن (يفعل أو سيفعل) على الحال أو الاستقبال لأن معناها لا يقتصر على زمن دون آخر.

ج- مع (قد): تفيد " (قد) تقريب الماضي من الحال، تقول: قام زيد... فيحتمل الماضي القريبَ والماضيَ البعيدَ، فإن قلت: قد قام... اختصّ بالقريب"[1]، و " قال الزمخشري: ومن أصناف الحرف حرف التقريب وهو (قد)، وهو وهو يقرب الماضي من الحال"[2]، قال تعالى :" وما لنا ألّا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا"[3].

قال موفق الدين بن يعيش:" (قد) حرف معناه التقريب، وذلك أنك تقول : قام زيد فتخبر بقيامه فيما مضى من الزمان إلّا أنّ ذلك الزمان قد يكون بعيداً، وقد يكون قريباً من الزمان الذي أنت فيه فإذا قربته بـ (قد) فَقَدْ قربته مما أنت فيه، ولذلك قال المؤذّن: قد قامت الصلاة؛ أي قد حان وقتها في هذا الزمان، ولذلك يحسن وقوع الماضي بموضع الحال إذا كانت معه، نحو قولك: رأيت زيداً قد عزم على الخروج؛ أي عازماً"[4].

و وجد الدكتور مهدي المخزومي أنّ" هذه المركبات استحدثت لتعبر عن الحدث تعبيراً يختلف تحديداً أو تخصيصاً عمّا يعبر عنه بناء (فعلَ) المفرد وحده، فقد ألحقت العربية (قد) ببناء (فعل) ليدلّ المركب منهما على معنى زائد على ما يدلّ عليه البناء المطلق نفسه... ولهذا المركب، أعني (قد فعل)...دلالة... وقوع الحدث في زمان قريب من الحاضر"[5].

جدير بالذكر أنّ نيابة صيغة (فعل) هنا عن الحال ليست بشكل تام، بمعنى أنّها لم تفارق كغيرها الزمن الماضي بشكل تام، بل بقيت تدل عليه مع دلالتها على قربه من الحاضر معاً.

ولهذا السبب كان لأبي البقاء الكفوي رأي في أنّ" خبر (كان) لا يجوز أن يكون ماضياً لدلالة (كان) على الماضي إلّا أن يكون الماضي مع (قد) كقولك : كان زيدٌ قد قام... لتقريبه إيّاه من الحال أو وقع الماضي شرطاً"[6].

د- مع الوصف الثابت أو ما دلّ على التجدد والاستمراريّة :تأتي بعض الأفعال من صيغة (فعل) غير مقيّدة بأصل هذه الصيغة؛ أي المضي، بل تدل على وجود وصف ثابت، أي الدلالة على حال واحدة في الأزمنة كلها، جاء عند الدكتور إبراهيم السامرائي:" قد يأتي من أبنية الأفعال الماضية على (فَعُل)، نحو (كَرُمَ) و (حَسُنَ) و (ظَرُف) فإذا قلنا: (كَرُمَ محمد) و (حَسُنَ خلقه) و (ظَرُفَ طبعه) فالمراد إثبات وجود هذه الصفات فيما أسندت إليه، وليس هناك أيّة إشارة للإعراب عن الزمان الماضي، ومثل هذا مما يأتي على (فَعِلَ)، نحو (صَغِر و عَرِجَ و كَحِلَ و عَوِرَ) مما يفيد الصفات الثابتة فالمراد من ذلك الإخبار عن ثبوت الصفة فيما أُسندت إليه من الأسماء، وليس في ذلك ما يدلّ على شيء من الزمان"[7].

---

[1]- الأنصاري، جمال الدين بن هشام. مغني اللبيب، ص 228.

[2]-المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، ص 254، 255.

[3]- البقرة 246.

[4]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل، ج8، ص 147.

[5]- المخزومي، د. مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 150، 151.

[6]- الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص 1031.

[7]- السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 30.

ويلحق بذلك ما دلّ على الحدث المجرّد من الزمان عند قصد ذلك، وهذا ما سمّاه الدكتور تمّام حسّان" الدلالة على مطلق الوصف... كزيد في قولك: قام زيد... ففي هذه الحالة يكون الوصف خاوياً من معنى الزمن" [1]، " ونستطيع أن نحمل على هذا النحو الفعل (كان) فهو في كثير من الاستعمالات لا يراد به إلّا الوجود في هيأة مخصوصة وفي زمان ما وكأنّه هو وحده بناء مفرغ عن الدلالة الزمنية... وإذا قلنا: إنّ الله كان بصيراً لم نستطع أن نهتدي إلى الزمن الماضي من الفعل (كان) في هذه الآية" [3]، وهنا قرينة معنوية أيضاً، فـ(كان) هنا بمعنى " بقي على حاله، واستمر شأنه، وسيستمر من غير انقطاع ولا تقيّد بزمن معيّن" [4] . [2]

فالأصل في (كان) أي صيغة (فعل) أن تدل على أصلها وهو الماضي، لكن قد تنوب عن صيغ الحال والاستقبال في التعبير عن الحال أو الاستقبال؛ والأمثلة لدلالتها على ذلك تستنتج من القرائن الدالة، ومن ذلك قوله تعالى:" يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً" [5]، وتأتي للدلالة على الحال في قوله تعالى:" كنتم خير أمّةٍ أخرجت للنّاس" [6]، كما تأتي بمعنى الأزل والأبد أو الدوام والاستمرار نحو قوله تعالى:" وكان الله عليماً حكيماً" [7]، وكقوله تعالى:" وكنّا بكلّ شيءٍ عالمين" [8]؛ أي لم نزل كذلك، وعلى هذا المعنى يتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بـ(كان) [9].

والمقصود هنا في نيابة الماضي عن المضارع أنّ الصيغة (فعل) التي تحمل معنى المضي في أصلها تحمل معنى ثابت أو متجدد في كل الأحوال أو الأزمنة، وليس المقصود أنّ الصيغة (فعل) هنا قد تجردت من ذاتها الأصلية، لتعبر عن الحال فقط أو الاستقبال فقط، لكن لكون صيغتها وضعت لأصل ما فقد يقال ذلك.

وهناك ما يدل على "الكينونة الخاصة: أصبح، وأمسى، وظلّ وبات" [10]، فوجد الدكتور عبد الرحمن أيوب أنّها للاستمرار الخاص" (بات) للاستمرار في المساء، و(أضحى) للاستمرار في الضحى، و(أصبح) للاستمرار في الصباح، و(أمسى) للاستمرار في المساء، ومن أجل تعيين هذه الأفعال لوقت خاص أطلقنا عليها اسم(أفعال التعبير الزمني الوقتي)، بينما أطلقنا على (كان) اسم (الفعل الزمني) المجرد، أي الذي لا ترتبط دلالة الزمن فيه بوقت خاص" [11]، فهنا نابت صيغة (فعل) عن الاستمرار بشكل جزئي، في حين أنها نابت مع (كان) التي تحمل قرينة الاستمرار بشكل كلّيّ.

وهناك ما يدلّ على "الكينونة المستمرة: ما زال ، ما انفك، ما برح، ما فتئ، وينبغي أن يكون منها ...(مادام) لأنهن وأمثالهن مما يدل على الوجود المستمر" [12]، **فاللفظ والصيغة للماضي والدلالة مستقبليّة**، و " مثل هذا ما سمي بأفعال المقاربة والرجاء والشروع، نحو : كاد وأوشك وكرب للمقاربة، وعسى وحرى واخلولق للرجاء، وطفق وشرع وجعل

---

[1]– حسان، د.تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 254.

[2]–هكذا وردت.

[3]– السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 31.

[4]– حسن، عباس. النحو الوافي، ج1، ص 549.

[5]– الإنسان 7.

[6]–آل عمران 110.

[7]– النساء 17.

[8]– الأنبياء 81.

[9]– الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص748.

[10]– المخزومي، د. مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 180.

[11]– أيوب، د. عبد الرحمن. دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، 1957، ص181.

[12]– المخزومي، د. مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 180.

وأخذ وقام وبدأ للشروع... فهذه الأفعال جاءت على هذا البناء، وليس في ذلك ما يشير إلى الزمن الماضي، ذلك أنّ المراد منها إثبات هذه المعاني المشار إليها بصرف النظر عن وقوع القرب والرجاء والشروع في زمن ماض"[1].

فأفعال المقاربة تفيد " قرب وقع الفعل من الحال... واشترطوا أن يكون خبرها فعلاً لأنهم أرادوا قرب وقوعه في الحال فأتوا بلفظ الفعل ليكون أدلّ على الغرض، وجرّد ذلك الفعل من (أنْ) لأنهم أرادوا قرب وقوعه من الحال، و (وأنْ) تصرف الكلام إلى الاستقبال"[2]، قال تعالى:" إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني"[3]، وأفعال الرجاء تدل على على ترجي حصول شيء وهذا لا يكون إلا استقبالاً [4]، فهذه الأفعال" هي ماضية في اللفظ ولكن زمنها مستقبل إذ لا يتحقق معناها إلّا في المستقبل" [5] وأفعال الشروع في مثل: أخذ، طفق.... " إذا قلت فيها: أخذ يفعل.. كان المعنى أنّه داخل في الفعل"[6]، قال تعالى" طفِقا يخصفان عليه من ورق الجنة" [7]، فهذه الأفعال الماضية" دالّة على الشّروع، كانت ماضية في الظاهر فقط، ولكن زمنها للحال"[8].

هـ- ينصرف الماضي إلى الاستقبال ***إذا كان منفيّاً بـ(لا) أو (إن)*** في جواب القسم، نحو: والله لا فعلت وإن فعلت، "فلا يلزم تكرير (لا) كما يلزم في الماضي الباقي على معناه، قال تعالى:" ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحدٍ من بعده، أي ما يمسكهما"[9].

و- القرائن المعنويّة أو المقامية أو السياقية أو الحاليّة :وهي كثيرة جداً ويصعب ذكرها كلّها لكثرة السياقات التي ترد فيها، وربما تنطبق أيضاً على ما سبقها، ونذكر منها: زمن حال المتكلّم، فالماضي" قد دلّ في بعض استعمالاته على وقوع الحدث حال زمن المتكلم، كما في قول البائع: بعتك، والمشتري: قبلت، مع أنّ الفعل في إعرابه: فعل ماض، وهم يعرفون الماضي بأنه ما دلّ على حدث مضى قبل زمن المتكلّم" [10]، كما ينصرف الماضي للإخبار عن أمور مستقبلية مع قصد القطع بوقوعها [11]، نحو قوله تعالى:" و نادى أصحاب الجنة أصحابَ النّار" [12]، ومن القرائن أيضاً ما يكون بمعنى الحكم أو القاعدة التي لا تكون لزمان واحد فقط، وإن عبر عنها بلفظ الماضي لكن تكون للحال والاستقبال أيضاً؛ أي لكل الأزمنة، قال تعالى:" حُرّمت عليكم المَيتةُ والدّمُ ولحم الخِنزير وما أهلّ لغير الله به والمُنخنقةُ و الموقوذة و المتردية والنطيحة وما أكل السبع إلّا ما ذكيتم وما ذُبح على النّصب..." [13]، فالملاحظ أنّ الفعل (حُرّم) هو بصيغة الماضي، لكن لا يقتصر على الماضي فقط، بل يكون للحال والاستقبال أيضاً، لكون الكلام هنا أحكاماً وقواعد غير محدود الزمن.

---

[1]- السامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ص 30، 31.

[2]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل، ج7، ص 119.

[3]-الأعراف 150.

[4]- توامة، عبد الجبار. زمن الفعل في العربية قرائنه وتوجيهاته، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 32.

[5]- حسن، عباس. النحو الوافي، ج1، 622.

[6]- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل، ج7، ص 127.

[7]-الأعراف 22.

[8]- حسن، عباس . النحو الوافي، ج1، ص620.

[9]- نور الدين، د. عصام. الفعل والزمن، ص 57.

[10]- المخزومي، د. مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 144.

[11]-انظر: نور الدين، د. عصام. الفعل والزمن، ص57.

[12]- الأعراف 44.

[13]- المائدة 3.

ومن ذلك قوله تعالى:" ما كان لمؤمن أن يقتلَ مؤمناً إلّا خطأً" [1]، فـ(كان) دلّت على حكم وشريعة وقاعدة لكل الأزمنة، ومعنى (ما كان) هنا: ما صحّ ، ولا ينبغي في أي وقت كان. [2]ومن السياقات ما لا يكون مقتصراً على المضي فقط، قال تعالى:" سبّح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم" [3]، وقوله تعالى:" وجدك ضالّاً فهدى و وجدك عائلاً فأغنى"[4]، فالتسبيح لله تعالى يكون في الماضي والحاضر والمستقبل، والله يهدي الإنسان ويساعده ويساعده في أي زمن كان، فعبّرت صيغة(فعل) عن الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل، عبّرت عن الماضي بأصلها الوضعي الموضوع لها، وعبّرت عن الحال أو الاستقبال بالنيابة عن صيغتهما الأصلية، فنابت عنهما، وفُهم الكلام عند هذه النيابة من خلال القرينة التي في السياق كما وجدنا.

قال تعالى:" أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه" [5]، جاء عند أبي حيّان أنّه " عُبّر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه"[6]، وجاء عند العكبري:" يُراد به المستقبل ولمّا كان خبر الله صدقاً جاز قطعاً أنْ يعبّر بالماضي عن المستقبل"[7].

بعد ذلك كلّه أوافق الدكتور الفضلي في أنّ الصيغة تدل على ما وضعت له في الأصل ؛أي تدل الصيغة في نفسها وذاتها على الزمن الأصلي لها الموضوع لها أصلاً عند عدم وجود قرينة تحولها عن أصلها، أمّا عند وجود القرينة فإنّ الزمن يحدده السياق والقرينة ولا تحدده الصيغة لوحدها، فالسياق يجرد الصيغة من ذاتها ليجعلها تدل على الزمن الذي يدل عليه هو لا على زمنها الأصلي الموضوع لها ، يقول الدكتور عبد الهادي الفضلي:" قد يدل الفعل على الزمن بهيئة، وقد يدل عليه بقرينة وقد تقوم القرينة بسلب دلالته على الزمن" [8]، " فالأفعال إذا وقعت قيوداً لِما له اختصاص بأحد الأزمنة كان مضيها و استقباليتها وحاليتها بالقياس إلى ذلك القيد"[9].

لذلك كان" الزمن وظيفة في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً، وإنّما تختار الصيغة التي تتوفر لها الضمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق، فلا يهم إن كان الزمن الماضي آتياً من صيغة (فعل) أو صيغة (يفعل) مادام يمكن بالتفريق بين الضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أنْ نختار من بين الصيغتين أصلحهما للدلالة على المعنى الزمني المراد في سياق بعينه"[10].

---

[1]– النساء 92.

[2]– انظر: الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص 748.

[3]–الصف 1.

[4]– الضحى 6، 7.

[5]– النحل 1.

[6]– الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط،ج5، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص 459.

[7]– العكبري، أبو البقاء. التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، ص 788.

[8]– الفضلي، د. عبد الهادي. دراسات في الفعل، دار القلم، بيروت، ط 1، 1982، ص 27.

[9]– الكفوي، أبو البقاء. الكليات، ص 1038.

[10]– حسان، د. تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 248.

الخاتمة:

بيّن البحث أنّ النيابة بين الصيغ في الدلالة الزمنية هي من باب نيابة صيغة عن أخرى مع وجود السياق لِما قد أُنيب عنه، وليس المقصود نيابة زمن (فعل) الأصلي عن زمن (يفعل) الأصلي ولا العكس، فعند النيابة هناك زمن واحد فقط يحدده السياق، بل المقصود نيابة صيغة غير مرتبطة بزمن السياق في أصلها عن صيغة مرتبطة بزمن السياق بأصلها بشكل تام، فالصيغة وحدها لا تدل على زمن، بل ما يحدد الزمن هو القرينة والسياق، فناب ما لا علاقة له في الأصل بالسياق عن الذي هو والسياق يدلان على شيء في واحد في أصل ما قد أُنيب عنه، واستُخدم مع السياق صيغة لا تناسبه في الأصل، واستخدم معه صيغة أخرى تركت معناها الأصلي ، **فالنيابة هنا** جاءت من تجريد السياق للنائب من زمنه الأصلي ليعطيه معه_ السياقَ _ زمن ما قد أُنيب عنه، والنيابة هنا نيابة جزئية مشروطة، لكوننا لا نستطيع أنْ نحل صيغة محل أخرى إلّا بوجود السياق والقرينة اللذين يسمحان بذلك.

كشف البحث أزمة المصطلح النحوي ، ولا سيّما في الجانب الإعرابي، فالنظر بشكل دائم إلى صيغة (فعل) على أنّها للمضي أو (يفعل) على أنّها للمضارع يتنافى مع القصد السياقي، فالإعراب معنىً، وهذه الصيغ هي في السياق جاءت لمعنى فأصبحت هي والسياق وحدة كلية لا تتجزأ معنويّاً، ولا يجب إعرابها بشكل منفصل عن السياق، لأنّنا إذا أعربناها بصرف النظر عن زمن السياق أعربناها من حيث هي فقط وكأنّها مفردة خارج التركيب، وهذا لا يصح لأنّه لا إعراب خارج التركيب.

المصادر والمراجع:

1- *القرآن الكريم.*

2- الأندلسي، أبو حيان. *البحر المحيط*، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

3- الأنصاري، جمال الدين بن هشام. *مغني اللبيب*، تحقيق: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979.

4- أيوب، د. عبد الرحمن. *دراسات نقدية في النحو العربي*، مؤسسة الصباح، الكويت، 1957.

5- توامة، عبد الجبار. *زمن الفعل في العربية قرائنه وتوجيهاته*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

6- حسان، د. تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*، دار الثقافة، الدار البيضاء، طبعة 1994.

7- حسن، عباس. *النحو الوافي*، دار المعارف، مصر، ط3، 1974.

8- السامرائي، د. إبراهيم. *الفعل زمانه وأبنيته*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

9- سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط 3، 1988.

10- السيوطي، جلال الدين. *همع الهوامع*، تحقيق: عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

11- العكبري، أبو البقاء. *التبيان في إعراب القرآن*، تحقيق:علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي.

12- الفضلي، د. عبد الهادي. *دراسات في الفعل*، دار القلم، بيروت، ط1، 1982.

13- الكفوي، أبو البقاء. *الكليات* ، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993.

14- المخزومي، د. مهدي. *في النحو العربي نقد و توجيه*، دار الرائد العربي، بيروت، ط2.

15- المرادي، الحسن بن قاسم. *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق: د. فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

16- نور الدين، د. عصام. *الفعل والزمن*، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 1984.

17- ابن يعيش، موفق الدين. *شرح المفصل*، إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، د.ت.